الفصل الأول

وضعية أهل السنة بالمجتمع المصرى قبل العصر الفاطمى

المبحث الأول: وضعية أهل السنة السياسية.

المبحث الثانى: وضعية أهل السنة العلمية والفكرية.

المبحث الثالث: الدور الدينى لأهل السنة.

المبحث الأول: وضعية أهل السنة السياسية

عرفت مصر الإسلام على يد الصحابى الجليل عمرو بن العاص رضى الله عنه فى العام 21 هـ، ومنذ ذلك التاريخ، ومذهب أهل السنة والجماعة[1] هو المسيطر على أهلها وحكامها فى الحكم والقضاء إلى يوم الناس هذا باستثناء عصر الدولة الفاطمية الذى أصبح فيه المذهب الشيعى الإسماعيلى هو المذهب الرسمى فى القضاء والأحكام، وإن ظل عموم الشعب على سنيتهم، ويتحاكمون إلى مذاهبهم الفقهية.

---

[1] قال ابن حزم: " وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم الصحابة –رضى الله عنهم–، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين –رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها –رحمة الله عليهم" أنظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، 1/371.

وقد عرف هذا المصطلح منذ القرن الأول الهجرى حيث ثبت عن ابن عباس (ت 68هـ) فى تفسير قوله تعالى " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ " [آل عمران: 106] قال: يعنى يومَ القيامة حين تبيضُّ وجوه أهل السنة والجماعة؛ وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة والفرقة ". وعن سعيد بن جبير رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه: 82] قال: ثم استقام. قال: لزوم السنة والجماعة. أنظر: اللالكائى: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة الثامنة، 1423هـ / 2003م، 1/72 ؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1/390.

واستخدم محمد بن سيرين (ت110هـ) مصطلح أهل السنة، فقد أخرج مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده إلى ابن سيرين أنه قال: " كانوا لايسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فيُنْظر إلى أهل السنة فيُؤخذ حديثهم،ويُنْظر إلى أهل البدعة فيُرَدّ حديثهم" ، ثم تتابع الناس على استعمال هذا المصطلح: فقد قال أيوب السختيانى (ت131هـ) فيما أخرجه اللالكائى:"إنى أُخْبَر بموت الرجل من أهل السنة، وكأنّى أفقد بعض أعضائى " وقال أيضاً: "إن من سعادة الحَدث والأعجمى أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة" ، وقال الثورى (ت161هـ):"استوصوا بأهل السنة خيراً ؛فإنهم غرباء " وقال:"ما أقلّ أهل السنة والجماعة" ، وقال الفضيل بن عياض (ت187هـ):"...ويقول أهل السنة "الإيمان المعرفة والقول والعمل" ، وقال الإمام أحمد (ت 241 هـ):"... هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى يومنا هذا....." . أنظر: محمد با كريم: وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، ط1، 1415هـ/1994م، ص 41.

ويتضح الدور السياسى لأهل السنة فى المجتمع المصرى قبل العصر الفاطمى، من خلال توسيد بعض المناصب العليا إليهم كالقضاء الذى كان من اختِصاص الخليفة العباسى أو قاضي القُضاة في بغداد، ومع ذلك فكان لا بُدَّ من مُوافَقة الأمير الإخْشيدي على القاضي المعيَّن، وكان الحاكم الإخْشيدي في بعض الحالات يُعيِّن القضاة دون الرُّجوع إلى الخليفة[1]، وكان مجلس القضاء يتم فى جامع عمرو بن العاص، ويخصص للقاضى يومين فى الأسبوع، ويمنع المصلين من الاقتراب منه، ويباعد بين كتابه وبين الخصوم[2].

وتطلعنا المصادر على وقائع تؤكد حرص قضاة مصر السنة على تحقيق التعايش السلمى فنسمع عن القاضى خير بن نعيم الحضرمى (ت 128هـ) الذى كان يقضى بين المسلمين فى المسجد، ويجلس على باب المسجد بعد العصر يقضى بين النصارى، وكان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود، ويتحقق من عدالة الشهود بين أهل دينهم[3]، ونجد القاضى محمد بن مسروق الكندى (ت 184هـ) يسمح للنصارى المتخاصمين بالدخول للمسجد كالمسلمين ليقضى بينهم، وكان القضاة قبله يجعلون للنصارى يوماً فى بيوتهم[4].

وفى المقابل رأينا شدة من القضاة على النصارى حال التطاول على شخص النبى ﷺ وسبه. فقد أورد لنا الكندى خبراً مفاده أن نصرانياً سب النبى فى ولاية على بن سليمان، وكان قاضى مصر آنذاك المفضل بن فضالة فكتب فيه القاضى إلى الإمام مالك بن أنس يسأله عن قتله فكتب مالك يأمر بقتله، ومن ثم قتل هذا النصرانى[5]؛ ولا شك أن خطورة هذه الفتوى كانت وراء استشارة القاضى لشخصية كمالك بن أنس الذى كانت له الحظوة لدى الكثيرين من المسلمين وأهل العلم وقتها، ولا يزال.

---

(1) سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1989م، ص308، 214.

(2) الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، 1908م، ص443.

(3) نفسه، ص351.

(4) نفسه، ص390،391.

(5) أنظر: الولاة والقضاة، ص382.

كذلك حرص القضاة على رفض أى وساطة أو شفاعة فى الأحكام ومن ذلك أن توبة بن نمر الحضرمى (ت 120هـ) ولى القضاء دعا امرأته عفيرة فقال لها: يا أم محمد، أي صاحب كنت لك؟ قالت: خير صاحب و أكرمه، قال فاسمعى: لا تعرضى لي في شيء من القضاء ولا تسأليني عن حكومة ولا تذكريني بخصم، فإن فعلت شيئا من هذا فأنت طالق، فإما أن تقيمى مكرمة وإما أن تذهبى ذميمنة. فانتقلت عنه فلم تكن تأتيه إلا فى الشهر والشهرين[1].

وكان القاضى الحنفى يحكم بقواعد المذهب الحنفى كإسماعيل بن اليسع الكندى (ت 167هـ)[2]، والقاضى المالكى يقضى بقواعد المذهب المالكى كإسحاق بن الفرات[3]، وأحياناً ما يرجع القاضى فى أحكامه إلى أقوال المشاهير من أهل العلم من غير مذهبه كأبى الطاهر عبدالملك بن محمد الحزمى المالكى (ت 174هـ) الذى كانت أحكامه على مذاهب ابن القاسم وسالم وابن شهاب وربيعة، ومذاهب أهل المدينة[4].

وتجدر الإشارة إلى أن بعض القضاة كانوا يتعرضون للسجن لرفضهم الرضوخ لمطالب الحاكم، ومن أن القاضى الحنفى بكار بن قتيبة لما رفض خلع الموفق حبسه أحمد بن طولون. فطلب منه أصحاب الحديث أن يأذن لهم بالسماع عن القاضى ابن قتيبة فى سجنه فأذن لهم ابن طولون. فكان القاضى يحدثهم حتى مات[5].

وقد نجح بعض القضاة فى الدوران فى فلك السلطة وحققوا مكاسب مادية كبيرة، ومن هؤلاء القاضى محمد بن عبده بن حرب الذى تقرب من الطولونيين وانتفع من قربه ذاك، فقد كان يتقاضى من خمارويه بن أحمد بن طولون ثلاثة آلاف دينار فى الشهر، وبنى داراً عظيمة أنفق عليها مائة ألف دينار[6]. وقد انعكست هذه المكاسب المادية التى حققها القضاة فى

---

(1) نفسه، ص342،343.

(2) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، تقديم فوزى محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م، 418/1.

(3) نفسه، 419/1.

(4) الكندى: الولاة والقضاة، ص383.

(5) نفسه، ص478.

(6) نفسه، ص516 ؛ وانظر: حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت) ص186،188.

العصر الطولونى على احتفالاتهم فنسمع فى عرس ابن القاضى أبى زرعة محمد بن عثمان الدمشقى من ابنة الحسين بن أحمد، عن النفقات الطائلة التى أنفقت فيه ما يفوق الأملاك فيذكر الكندى أن الحسين بن أحمد كتب أسماء مائة فرد فحضروا فأخرج إليهم مائة غلام بمائة قدح غالية، ومائة قمقم ماء ورد ومائة مشط ومائة مرآة، وذلك قبل العرس، ثم فى النكاح خرج مائة غلام بمائة طست ومائة أبريق وعشر موائد، ونثرت عقد الدنانير ووزعت تماثيل الند والعنبر وطيف عليهم بالطيب والبخور[1].

وكان هناك تنافُسٌ وتهافُت كبيرٌ على منصب القضاء، وكانت تبذل الرَّشاوي من أجل ذلك، فعندما مات محمد بن عبدالله الخصيبي سعى ابن وليد لدى كافور لتولِّي منصب القضاء، وبذل لكافور مالاً في هذا السبيل، ولكنَّ أعوان كافور وخاصَّته نصَحُوه برفض طلبه، فعيَّن كافور على القضاء أبا طاهر الذهلي[2]، والذى ظل فى منصبه حتى بعد دخول الفاطميين كما سنفصل بالفصل الأول من هذه الدراسة.

وأحياناً ما كانت تقع النزاعات بين القاضى وأحد الفقهاء فى حضرة الحاكم، ومن ذلك تنازَع أبو بكر بن الحداد الفقيه وأبو الذكر محمد القاضي المالكي، وعبدالله بن الوليد فى حضرة الإخشيد، وجري بينهم لغطٌ كثير، فلمَّا انصرَفُوا، قال الإخشيد: يجري هذا في مجلسي! كدت والله أنْ آمُرَ بأخْذ عَمائمهم[3].

وقد حرص الإخشيد على اختبار فقهاء السنة فإذا استحسن جوابهم ولاهم وقربهم منه، فقد رُوِي أنَّه كان بعصر رجل يُعرَف بأبي القاسم بن عمرو بن نافع، وكان مشهورًا بعدله عند الشهود، وكان له ولدٌ يُكنى أبا جعفر يتفقَّه للشافعي، وكان أبو جعفر قد خرج إلى العراق فمكث هناك سنينًا ثم رجع إلى الشام، فأدخَلَه أبو علي إلى الإخْشيد بدمشق وعرف به، ووصفه له، فقال له الإخْشيد: أبوك الأبرص، قال: نعم، فقال له: لِمَن تتفقَّه، قال: للشافعي،

---

[1] الكندى: الولاة والقضاة، ص521 -526.

[2] الكندي: أخبار قضاة مصر، ص173 – 174 ؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص214 - 215.

[3] ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، نشر زكى محمد زكى، سيدة كاشف، شوقى ضيف، مطبعة جامعة القاهرة، 1953م، ص182.

فقال له الإخْشيد: أيش معنى قول المزني: "اختصرت هذا من قول الشافعي، ومن معنى قوله"؟ فأجاب أبو جعفر، وكانت هذه صنعته فأحسن الجواب، واستحسن الإخْشيد الجواب فولاَّه مظالم سواحل مصر[1].

ومن الوظائف التى وسدت إلى أهل السنة، ولكنها كانت قاصرة على الفاتحين قبل قيام الدولة الطولونية منصب صاحب الشرطة الذى كان يولى من قبل والى مصر أو من قبل الخليفة[2]، وكان أمر استتباب الأمن راجع إلى صاحب الشرطة الذى يقمع المفسدين بشدة وحزم، كما كان يهتم بنشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق، وأحياناً ما يتشدد فيمنع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات والمقابر، كما كان يسجن المؤنثين والنوائح مثلما فعل أرخوز صاحب الشرطة فى ولاية مزاحم بن خاقان سنة 253هـ[3].

كذلك وسد إلى أهل السنة فى مصر منصب صاحب البريد، وكان أيضاً قاصراً على الفاتحين قبل قيام الدولة الطولونية، وارتبطت وظيفته بالخلافة وعمالها أكثر من ارتباطها بمصر فى ذلك التوقيت[4]، وقد ذكر الكندى أن صاحب البريد فى ولاية داود بن يزيد بن حاتم أراد أن يتدخل فى عمل قاضى مصر عبدالملك بن محمد الجزمى فلم يكن من القاضى إلا أن استعفى من منصبه[5].

وقد حقق صاحب البريد مكاسب مادية غير مسبوقة فى ظل الدولة الطولونية. حيث تخبرنا المصادر أن ثروة الحسن بن مهاجر عامل البريد فى عهد أحمد بن طولون بلغت نحواً من مائة ألف دينار فى رواية ابن سعيد[6]، فى حين قدرها المقريزى بنحو مليون دينار[7].

---

(1) نفسه، ص181.

(2) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 216/2 ؛ وانظر: سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص24.

(3) ابن تغرى بردى: مصدر سابق، 337/1.

(4) سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص27.

(5) أنظر: الولاة والقضاة، ص384.

(6) أنظر: المغرب، ص107.

(7) أنظر: المواعظ والاعتباربذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 331،330/1.

كذلك لعب أهل السنة بمصر دوراً مهما فى الجهاد وغزو العدو إذ إن الروم لما نزلوا دمياط سنة 238هـ فى خلافة المتوكل العباسى وولاية عنبسة بن إسحاق على مصر وقع الاهتمام بالاسطول، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر، وانتدب الأمراء له الرماة، فاجتهد الناس بمصر فى تسليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة[1].

وقد تجلى لنا دور أهل السنة بمصر بشأن النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان عقب استشهاد عثمان بن عفان فى العام 35هـ، فنرى شيعة عثمان فى مصر يبايعون معاوية بن خديج على الطلب بدم عثمان فسار بهم إلى الصعيد، وأرسل ابن أبى حذيفة من يحاربهم، والتقى الفريقان فى إحدى قرى البهنسا، وكان النصر حليف شيعة عثمان، ثم أرسل ابن أبى حذيفة جيشاً آخر فكان نصيبه الهزيمة على يد شيعة عثمان[2]، ولعل قوة شيعة عثمان بمصر كانت من وراء صياح قتلة عثمان الذين أتوا الفسطاط ودخلوا المسجد بالقول: " إنا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله[3]".

وفيما يخص دور أهل السنة فى الحياة السياسية فتطالعنا المصادر بخبر عن طائفة بالإسكندرية عرفت بالصوفية كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعارضوا السلطان فى أمره واتخذوا رئيساً لهم منهم يقال له أبو عبدالرحمن الصوفى، واتحد معهم الأندلسيون[4] وساروا إلى عمر بن هلال والى الإسكندرية فحاصروه وانتهى الأمر بقتله فى العام 200هـ[5]. أصبح الأندلسيون أصحاب السلطة الفعلية فى الإسكندرية، وتأكد

---

[1] نفسه، 2/ 191.

[2] سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص122،123 ؛ وانظر: السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص47.

[3] الكندى: الولاة والفضاة، ص18.

[4] كان الأندلسيون يأتون إلى الإسكندرية للتجارة، ولكن ولاة مصر ما كانوا يسمحون لهم بالدخول فيها إلا هذه المرة فإن الأندلسيين لما طردوا فى عهد الأمير الحكم بن هشام الأموى على أثر موقعة الربض بقرطبة سنة 198هـ. فرسا فريق منهم بالقرب من الإسكندرية وكان عددهم حوالى خمسة عشر ألفاً باستثناء النساء والأطفال. أنظر: الكندى: الولاة والقضاة، ص158 ؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الفكر، القاهرة، 6/209،210 ؛ المقريزى: المواعظ والاعتبار، 1/172 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، 2/158.

[5] الكندى: الولاة والقضاة، ص161،162 ؛ وانظر: صديق شيبوب: جمهورية أندلسية بالإسكندرية، مجلة الكتاب، 1949م، ص233،234 ؛ صفاء عبدالحافظ: الموانى والثغور المصرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، ص51.

سلطانهم بعد ما هزموا اللخميين وملكوا الإسكندرية عنوة فى ذى الحجة 200هـ، وولوا عليها أبا عبدالرحمن الصوفى، والذى اضطربت الأحوال فى عهده وعم القتل والنهب فيها، فعزله الأندلسيون وولوا عليهم رجلاً منهم يعرف بالكنانى [1].

ويرتبط بالدور السياسى لأهل السنة ما قام به العلويون[2] من ثورات فى عهد أحمد بن طولون. الذى سمح بإيواء جماعات منهم، ورغم ذلك ثاروا ضده أكثر من مرة، ومن ثم لم يكن يتهاون فى قتال الثائرين منهم إبراهيم بن محمد بن يحيي بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب المعروف بابن الصوفى العلوى سنة 253هـ بثغر أسوان، فجرد إليه ابن طولون جيشاً هُزِم فى المرة الأولى، ثم أرسل جيشاً ثانيا نجح فى الإيقاع بابن الصوفى[3]، وممن خرج على ابن طولون من العلويين عبدالله بن طباطبا فى موضع قرب الإسكندرية سنة 255هـ فأرسل ابن طولون جيشاً إليه هزمه وقضى على ثورته[4].

ويرتبط بثورات العلويين السنة ضد أحمد بن طولون ثورة سنية أخرى لكنها عمرية هذه المرة قام بها أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحميد العمرى – يرجع نسبه إلى أمير المؤمنين

---

[1] الكندى: مصدر سابق، ص163،164 ؛ وانظر: المقريزى: المواعظ والاعتبار، 1/173.

[2] العلويون: هم من ينتسبون إلى على بن أبى طالب، ويصح نسبهم، وهم سنة فى المجمل، ولذا فمن يدعى الشيعة أنهم أئمتهم فهم أقطاب أهل السنة كالحسن والحسين ومحمد الباقر وموسى الكاظم وجعفر الصادق وغيرهم من أبناء على وفاطمة الذين لم يثبت عنهم الطعن فى أصحاب النبى، وهؤلاء غير الطائفة العلوية النصيرية التى هى طائفة من الشيعة الجعفرية الإثنى عشرية، والتى تؤمن بالدعوة الباطنية، وقد أسسها أبو شعيب محمّد بن نصير العبدى البكرىّ النميّرى التميمى، الذى عاش فى سامرّاء العراق، ويُذكر دائمًا من قبل أتباعه أنه أحد أصحاب الإمامين على الهادى والحسن العسكرى، ويعتقد أتباعه أنه أحد كبار العلماء، وأنه "باب" الإمام، والمؤتمن على أسراره، بينما يعتبره غيرهم من الشيعة الإثنى عشرية، أنه من الأدعياء ولا يُركن إلى كلامه، وللعلويين أفكار واعتقادات خارجة عن الإسلام تماماً كادعائهم ألوهية على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقولهم بتناسخ الأرواح، وحبهم لابن ملجم قاتل على بن أبى طالب، وتعظيمهم للخمر، وأن الفرائض والعبادات ما هى إلا أغلال وضعت على الجهلة المقصرين لعدم اعتقادهم بأسرار الحقيقة الإلهية. لمزيد من التفاصيل عن معتقدات القوم من نصوصهم مقارنة بنصوص غيرهم أنظر: محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى، مكتبة الأقصى، عمان، ط2، 1406هـ/1986م، ص341-416.

[3] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، 3/6،7.

[4] الكندى: الولاة والقضاة، ص212 ؛ وانظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، 3/6 ؛ صفاء عبدالحافظ: مرجع سابق، ص54،55.

عمربن الخطاب- بأسوان ضد أحمد بن طولون سنة 255هت وتزعم القبائل العربية الذاربة هناك من ربيعة وجهينة، وخرج بهم يدفع اعتداء النوبة والبجة[1]، وانتصر عليهم وتوغل فى بلادهم وجبى الجزية من البجة، وهنا أدرك ابن طولون خطورة حركة العمرى فأرسل له جيشاً لكنه هُزم على يد العمرى، الذى ما لبث أن انقسمت القبائل التى صحبته وخرج بعضها عليه، وانتهى أمره بأن قتل على يد بعض غلمانه[2].

وتجدر الإشارة إلى أن فقهاء السنة فى عصر الإخشيديين واجهوا اعتداءات الفاطميين على مصر بفتاوى تستنفر همم المصريين للخروج لقتالهم باعتبارهم خوارج ومغيرين للسنة، ومضللين للأمة. فقد انبرى الطحاوى (ت 321هـ) إمام الحنفية فى عصره يدعو المصريين لمواجهة الفاطميين بقوله: "أيها الناس اخرجوا إلى هؤلاء القوم فإنهم خوارج وجهادهم عليكم واجب لأنهم يغيّرون السنّة ويفرقون الدعوة ويضلّون الأمّة". فخرج الناس إليهم عنقاً واحداً فهزموهم وردّوهم وغنموا منهم غنائم كثيرة[3].

وتجدر الإشارة إلى أن حكام مصر السنة قبل العصر الفاطمى كانوا يحرصون على الحرية الفكرية، وعلى تحقيق التعايش السلمى فى دولتهم، فرغم مواجهتهم للمعتقدات المخالفة لأهل السنة، ومنها المعتزلة فقد قربوا سيبوية المصرى منهم رغم اعتزاله[4] ونشره لرأيه بشأن

---

[1] المقريزى: المواعظ والاعتبار، 196/1. والبجة أو البجا أو البجاة اسم يطلق على القبائل التى تسكن ما بين ساحل البحر الأحمر ونهر النيل فى السودان وعلى امتداد من الشمال مروراً بمنطقة مثلث حلايب، وجنوباً ما بين باضع (مصوع حالياً) وجزر دهلك إلى منطقة بركة فى داخل الحدود الإرترية ومن ثم الامتداد غربا إلى قلع النحل والقلابات والقضارف والبطانة ونهر عطبرة فى السودان، وهم من أقدم الشعوب الأفريقية يعود نسلهم إلى كوش بن حام بن نوح. وقيل إلى سام بن نوح، وكانوا معاصرين لفراعنة مصر وفى حروب دائمة معهم. ويتحدث البجا لغتهم (البجاوية) التى ينتسبون إليها، وهى لغة كوشية قديمة لا يعرف لها حرف مكتوبة اليوم واللغه السائده عند أغلبية البجا هي البداويت، والتجري هي اللغه الرسميه لسادات البجا وه والبشارين. لمزيد من التفاصيل عنهم أنظر: المقريزى: المواعظ والاعتبار، 313/1-319.

[2] البلوى: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، دمشق، 1939م، ص67.

[3] المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ط2، 1909م، ص234.

[4] أخذ سيبويه الاعتزال عن أبى على محمد بن موسى القاضى الواسطى، وكان وجه المتكلمين بمصر. أنظر: ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، مطبعة النصر، مصر، ط1، 1937م، ص18.

القول بخلق القرآن فقد ذكر ابن زولاق أن سيبويه كان يصيح قائلاً: الدار دار كفر، حسبكم أنَّه ما بقي في هذه البلدة العظيمة أحدٌ يقول: القرآن مخلوق إلاَّ أنا وهذا الشيخ أبو عمران – أبقاه الله – فقام أبو عمران يعدو حافيًا خوفًا على نفسه حتى لحقه رجل بنعله[1]"، بل كان يتحدث عن القدر فى المسجد حيث ذكر ابن زولاق أن سيبويه تكلَّم ذاتَ يومٍ في المسجد الجامع في القضاء والقدر، فقال له رجلٌ: فكيف أعمل إذا أمرني وحالَ دون ما أمر، فصاح به سيبويه، وقال: كيف قلت؟ وضرب له مثالاً لشرطي قال لغُلامِه قبلَ صلاة الجمعة: امضِ واشترِ لي جدياً من صفته كذا، واذبحه واشوِه، واعمَل لي حلوًا ولا تتأخَّر، وقدِّمْه لي إذا انصَرفتَ من الصلاة، ثم بدأ الغُلام في التنفيذ، وأمَر الشرطي أعوانه بحبْس الغُلام، فعندما انتهى الشرطي من الصَّلاة جاء بالغلام وقال له: أين الذي أمرتكبه؟ فقال: أعوانك حبسوني بأمرك، فلم أستطع فعل ما أمرتني به، ثم قال له سيبويه: أمَا كان هذا الشرطي يستحقُّ بهذا النعل[2].

ورغم هذه النزعة الاعتزالية عند سيبويه المصري فلما سمع الإخْشيد به وأنَّه عالِمٌ في كلِّ فن، طلب من غِلمانه أنْ يأتوا به، فعندما جاؤوا به، طلب الإخْشيد من أبي الحسن السامري، وكان ينقطع إلى الإخْشيد أنْ يسأل سيبويه :لِمَ تيَّه الله بني إسرائيل أربعين سنة دون ثلاثين ودون خمسين، فسأله فقال: نعم؛ إنما تيَّه الله بني إسرائيل عقوبةً، فجعلها أربعين سنة؛ لأنَّ الجسد يقبل الغذاء والنماء أربعين سنة، فإذا خلفها وراءه ردَّ الغذاء والنماء، فجعل الله أربعين سنة جزاء أربعين النَّعيم، فاستحسن الإخْشيد الجواب، وأمَر الوزير صالح بن نافع أنْ يُجرِي على سيبويه دِينارين لكل شهر، فكان أبوه يقبضهما إلى أنْ مات، فظلَّ سيبويه يقبضهما إلى أنْ توفي صالح بن نافع سنة 340هـ[3]. وكذا أجرى الوزير محمد بن علي بن مقاتل وزير الإخْشيد على سيبويه المصري خمسة دنانير كلَّ شهر[4].

---

[1] ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص18، 19.

[2] نفسه، ص23،24.

[3] ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص26، 27

[4] نفسه، ص35.

وكان الأمراء الإخْشيديين – على اختلافهم – قد جالَسوا سيبويه المصري تلميذ ابن الحداد وتزيَّنوا بالصبر والجلد أمام نقدِه اللاذِع، وتهكُّمه المرِّ الشديد. فقد رُوِي أنَّه رأى الناس يوم الجمعة قد اجتمَعُوا واحتشدت بهم الطرقات، فصاحَ بهم، ما هذه الأشباح الواقفة والتماثيل العاكفة، سلط عليهم قاصفة، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، وتغلي قلوبهم واجفة! فقال له رجلٌ: أهو الإخْشيد ينزل للصلاة، فقال: هذه للأضلع البطين، المسمن البدين، قطَع الله منه الوتين، ولا سلك به ذات اليمين، ما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان، ولا حاجب ولا حاجبان، ولا تابع ولا تابعان، لا قَبِلَ الله له صلاة، ولا قرَّب له زكاة، وعمر جثته الغلاة[1].

وكذلك روَى الحسن بن زولاق: "ترك كافور يومًا لصلاة الجمعة في مواكبه، فسمع صِياحًا عند مسجد الريح، فقال: أيُّ شيء هذا؟ قالوا: سيبويه، فقال: استروه عنِّي بالدرق، وهو يصيح: أبا المسك، مدحُ القط خزيٌ في السعير، لا أعتق الله منك قلامة ظفر، ثم التفت إلى الناس فقال: حصلنا على خَصِيٍّ وامرأة، لا ندري، يعني بالخصي كافورًا، وبالصبي عليَّ بن الإخْشيد، وبالمرأة أمَّه[2]".

[1] ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص28.

[2] ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص32.

المبحث الثانى: وضعية أهل السنة العلمية والفكرية

أصبحت مصر منذ دخول الإسلام إليها مركزاً علميا فى الدولة الإسلامية كما هى مركز سياسى، وكان لأصحاب النبى ﷺ الذين دخلوا مصراً أثر كبير فى نشر الإسلام والسنة النبوية المطهرة، إذ لم يهتموا خلال القرن الأول الهجرى إلا بالدين الإسلامى، وعلومه الجديدة المنبثقة منه[1]، وقد انتحى أحد رجال مصر وهو محمد بن الربيع الجيزى بجمع من دخل مصر من الصحابة عد فيه مائة ونيفاً وأربعين صحابياً وأورد أحاديثهم، وما رواه عنهم أهل مصر[2]؛ وذكر ابن زولاق (387هـ) أن نحواً من ألف دخل مصر من أصحاب النبى، منهم جماعة من أهل بدر، ومنهم من روى عنه[3].

حصل جماعة من أهل مصر العلم عن الصحابة، وكان لهم دور مهم فى نشر السنة والحديث بل منهم من وسد إليه أمر القضاء كسليم بن عتر التجيبى (ت 75هـ) الذى ولاه معاوية بن أبى سفيان القضاء فأقام قاضياً عشرين سنة، ومنهم عبدالرحمن بن جحيرة الخولانى (ت 83هـ) الذى ولى قضاء مصر لواليها عبدالعزيز بن مروان، واستمر قاضياً اثنى عشر سنة[4].

ومن أرباب الفقه والعلوم الشرعية فى القرن الثانى الهجرى: يزيد بن أبى حبيب الأزدى (ت 128هـ) وهو أول من أظهر علم المسائل بالحلال والحرام، ووصفه تلميذه الليث بن

---

(1) محمد كامل حسين: فى الأدب المصرى الإسلامى من الفتح الإسلامى إلى دخول الفاطميين، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ص35.

(2) السيوطى: در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق حمزة النشرتى وآخرون، المكتبة القيمة، القاهرة، ص22 ؛ وانظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998م، 2/85.

(3) أنظر: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص27.

(4) السيوطى: حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ/2009م، 1/130،129 ؛ وانظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998م، 2/86.

سعد بقوله: "هو سيدنا وعالمنا[1]"، وبكير بن عبدالله الأشج، وعمرو بن الحارث الأنصارى (ت 147هـ)، والليث بن سعد (ت 175هـ)، وعبيد الله بن جعفر[2]؛ وعبدالله بن لهيعة (ت 174هـ) والذى أكثر من رواية الأحاديث دون أن يحتاط بشأن إسنادها[3]، والمفضل بن فضالة (ت 181هـ)، ورشيد بن سعد (ت 188هـ)، وعبدالله بن وهب (ت 197هـ)[4] الذى قيل إنه روى عن الرسول مائة ألف حديث ما جرح فى حديث واحد[5].

وقد بز من وسط هؤلاء الليث بن سعد الذى ترك أثراً كبيراً فى المجتمع المصرى يتضح من خلال أقوال كبار أهل السنة على عصره ومنها: قول الشافعي: ما فاتني أحد أشد علي فواته من ابن أبي ذئب والليث بن سعد ؛ وقال ليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ومن حسن ديانته أنه مع إكثاره عن الزهري سماعاً يروي ما فاته عن يونس بن يزيد وعقيل وغيرهما عن الزهري[6]؛ وقال يحيى بن بكير ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد كان فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر حسن المذاكرة لم أر مثله[7]؛ وقال ابن وهب: والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث[8]؛ وقال

---

(1) السيوطى: مصدر سابق، 163/1 ؛ وانظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، النجوم الزاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 308/1.

(2) ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، تعليق أحمد حسن جابر، هدية مجلة الأزهر، جمادى الآخرة1413هـ، شعبان1413هـ، ص85 ؛ وانظر: المزى: تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م، 105/2 ؛ السيوطى: حسن المحاضرة، 299/1-302.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، 249/1.

(4) ابن زولاق: فضائل مصر مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص28،29.

(5) ابن الزيات: الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة، مطبعة بولاق، 1907م، ص45.

(6) ابن حجر: الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1415هـ/1994م، ص26 ؛ محمود سعد: فقه الإمام الليث بن سعد فى ضوء الفقه المقارن، مطبعة الأمانة، القاهرة، 14،15.

(7) السيوطى: طبقات الحفاظ، تحقيق على محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ط1393،1هـ/1973م، ص101،102.

(8) الشيرازى: طبقات الفقهاء، المكتبة العربية، بغداد،1356هـ، ص75،76.

شرحبيل بن جميل أدركت الناس أيام هشام الخليفة وكان الليث بن سعد حدث السن وكان بمصر عبيد الله بن أبي جعفر وجعفر بن ربيعة والحارث بن يزيد ويزيد بن أبي حبيب وابن هبيرة وإنهم يعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه عن حداثة سنة ثم قال ابن بكير لم أر مثل الليث[1].

نجح الليث بن سعد فى تأسيس مدرسة فقهية حديثية سنية بمصر من أبرز رجالها عبدالله بن صالح أبو صالح الجهني المصري الحافظ (ت 223هـ) كاتب الليث بن سعد توفي في يوم عاشوراء وله ست وثمانون سنة، حدث عن معاوية بن صالح وعبد العزيز الماجشون وخلق. قال ابن معين: " أقل أحوال أبي صالح أنه قرأ هذه الكتب على الليث فأجازها له"، وقال ابن ناصر الدين: " روى عنه البخاري في الصحيح وله مناكير[2]"، وسعد بن كثير بن غفير المصرى أكثر من سماعه لليث، وسويد بن أيوب آخر من روى عن الليث بن سعد[3]، وأبو رجا قتيبة بن سعيد بن طريف الثقفى سمع الليث بن سعد بمصر[4]، والحارث بن مسكين الإمام أبو عمرو(ت 250هـ) قاضي الديار المصرية وله ست وتسعون سنة سأل الليث بن سعد وسمع الكثير من ابن عيينة وابن وهب وأخذ في المحنة فحبس دهراً حتى أخرجه المتوكل وولاه قضاء مصر وكان من كبار أئمة السنة الثقات، وفقيهاً على مذهب مالك[5]؛ وأبو عبد الله محمد بن رمح بن المهاجر التجيبي كان يسكن محلة التجيب بمصر وكان من أثبات المصريين ومتقنيهم سمع الليث بن سعد روى عنه البخاري والحسن بن سفيان الثوري ومحمد بن ريان بن حبيب المصري وغيرهم[6].

---

[1] ابن حجر: الرحمة الغيثية، ص26 ؛ وانظر: عبدالله شحاته: الإمام المصرى الليث بن سعد، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص44.

[2]أبو يعلى الفراء: طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 331/1، وانظر: ابن العماد: شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، 51/1.

[3]ابن العماد: شذرات الذهب، 418،419/1.

[4]نفسه، 936،935/3.

[5]ابن العماد: شذرات الذهب، 121/1.

[6]ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 54،16/2.

ومن أبرز تلاميذ الليث بن سعد، إسحاق بن الفرات صاحب مالك وقاضى مصر (ت 204هـ)، والذى قال عنه الشافعى: "ما رأيت بمصر أعلم منه باختلاف الناس[1]"، وقال ابن عليه: "ما رأيت ببلدكم أحداً يحسن العلم إلا ابن الفرات[2]"، ومن تلاميذ الليث أيضا إسحاق بن بكر بن مضر المصرى (ت 218هـ) الذى كان يجلس فى حلقة الليث ويفتى بقوله ومذهبه[3]، وأحمد بن يونس بن عبدالأعلى الصدفى حدث عن الليث، وكان وكيلاً عنه[4].

وقد قامَتْ نهضةٌ تشريعيَّة قويَّة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ حيث انتَقَل الفقه الإسلامي إلى مرحلةٍ جديدة، اقترنَتْ بظُهور الأئمَّة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهيَّة المشهورة (الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي) وفي هذه الفترة بدَأتْ العُلوم الفقهيَّة بصفةٍ خاصَّة والإسلاميَّة بصفةٍ عامَّة تنمو وتستقلُّ[5].

وبرز بمصر فى القرنين الثانى والثالث الهجريين من أصحاب مالك الذين وافقوه فى الغالب وخالفوه فى القليل عبدالله بن وهب (ت 197هـ)، وأشهب بن عبدالعزيز (ت 204هـ) الذى قال عنه الشافعى: "ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه[6]"، وعثمان بن أبى كنانة، وعبدالرحمن بن القاسم (ت 194هـ)، الذى غلب عليه تقليد مالك فى الأكثر[7]، وعبدالله بن عبدالحكم (ت 215هـ) من قبله، ألقيت إليه رئاسة المالكية بمصر بعد أشهب، وكان من الأئمة المجتهدين، وابنه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم (ت 268هـ)، وأصبغ بن الفرج (ت 226هـ)، وكلاهما لم يستهلك فى التقليد[8].

---

[1] نقلا عن السيوطى: حسن المحاضرة، 166/1.

[2] نقلا عن الكندى: الولاة والقضاة، ص393.

[3] السيوطى: مصدر سابق، 167/1.

[4] ابن الزيات: الكواكب السيارة، ص83.

[5] جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، مصر، 1902م، 79/3 ؛ وانظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح إلى نهاية الدولة الإخشيدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص269.

[6] نقلا عن السيوطى: حسن المحاضرة، 166/1.

[7] ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، ص85.

[8] نفسه، ص86 ؛ وانظر: السيوطى: حسن المحاضرة، 305/1.

وسكن الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت 204هـ) مصر ونشر علمه ومصنفاته بها، وبز من أصحابه المصريين من كان من أهل الاجتهاد كأبى يعقوب يوسف بن يحيي البويطى (ت 231هـ) خليفة الشافعى فى حلقته من بعده، وحرملة بن يحيي بن عبدالله التجيبى (ت 243هـ) أحد الأئمة المجتهدين والذى حمل عن الشافعى كتاباً كبيراً يسمى كتاب السنن[1]، وإسماعيل بن يحيي المزنى (ت 264هـ) الذى حمل عن الشافعى كتابه المبسوط، وهو المختصر الكبير والمنثورات، وكذا المختصر المشهور[2]، قال عنه الشافعى: "المزنى ناصر مذهبى"، والربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادى (ت 270هـ) أول من أملى الحديث بجامع ابن طولون، ومحمد بن عقيل الفريانى (ت 285هـ)، ومحمد بن على بن يوسف النسائى[3].

وتجدر الإشارة إلى أنه لما تكون مذهب أبى حنيفة ومالك وانحاز كل فريق إلى مذهب انقسم العلماء فى مصر، وتولى القضاء بها إسماعيل بن اليسع الكندى سنة 164هـ، وكان أول قاضى بمصر يقضى بمذهب أبى حنيفة، فلم يرض عنه أهل مصر، ومنهم الليث بن سعد الذى كتب إلى الخليفة المهدى فعزله[4].

وقد وقع الخصام والنزاع بمصر حول مسائل الفقه والتشريع بين الحنفية والمالكية، وظل الأمر مستمراً حتى قدم الشافعى مصر، وأقام بها خمس سنوات يحرر مذهبه الجديد،

---

[1] ابن حجر: توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1415هـ/1994م، ص178؛ هذا وقد أفادنا هذا الفقيه الشافعى العظيم حرملة فى تحديد موضع قبر عمرو بن العاص، والذى وقف أمامه كما ورد فى نص باكر عولنا عليه فى دراسة لنا تحدد بجلاء ضريح الصحابى الجليل عمرو بن العاص، وقد أعددنا دراسة عن هذا الموضوع راقت لأساتذتنا وأصحابنا بالجامعات المصرية، وأحدثت حراكاً على صفحات الجرائد المصرية والعربية، وأجرينا عدة لقاءات وأحاديث فى الإعلام المرئى والمسموع حول هذا الموضوع.

[2] ابن حجر: توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس، ص178.

[3] ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، ص86 ؛ وانظر: السبكى: طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار هجر للتجارة والتوزيع، 93/2 ؛ الإسنوى: طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، 28/1 ؛ السيوطى: حسن المحاضرة، 305/1-307، 348.

[4] الكندى: ولاة مصر وقضاتها، ص371.

ويمليه على تلاميذه المصريين كالبويطى والمزنى والربيع المرادى. فنال إليه كثير من المصريين لعروبته وفرشيته وفصاحته وقوة حجته، وانتشر مذهبه رغم عداء المالكية له ولأتباعه، ومن ثم أصبحت الخصومة على أشدها بين فقهاء الأحناف والمالكية والشافعية، والتى أدت أحياناً إلى الشر وإلى الإيقاع بالخصوم، كما فعل محمد بن أبى الليث قاضى مصر الحنفى الذى انتهز محنة خلق القرآن، وأوقع بأصحاب مالك والشافعى، ومنع فقهاءهم من الجلوس فى المسجد[1].

وقد كان لأسرة ابن عبدالحكم الفقيه المالكى أثر كبير فى توجيه الأحداث السياسية، والتصدى لفتنة خلق القرآن. فقد نزلت الأسرة مصر في القرن الأول الهجري ببلدة الحقل قرب العقبة، ثم انتقلت إلى الفسطاط عاصمة البلاد. وتفقهت في الدين وتولوا مناصب كبرى في البلاد، وبسبب ذلك أتيحت لأبناء الأسرة فرصة قيمة لدراسة أحوال البلاد وجيرانهم عن كثب في المجال الدينى والفكري والسياسي[2].

لقد زار الإمام الشافعي مصر في عام 199 ه ونزل ضيفًا على عبد الله بن عبد الحكم. فعاصر آل عبدالحكم الحركة الفكرية والدينية التي أحدثها الإمام في مصر. وبعد ذلك، تولى عبدالله بن عبدالحكم رئاسة المالكية في مصر، حيث جاء علماء الأندلس يدرسون على يديه مذهب مالك بن أنس، وكان أولاده الثلاثة الكبار من أفضل العلماء وكانوا شيوخًا وأساتذة أيضًا ونال أخوهم عبد الرحمن صاحب كتاب الفتوح على أيديهم علماً ودراية[3]، ولما اعترضت جماعة من علماء مصر فى العام 214هـ على تعيين الخليفة المأمون لأخيه المعتصم واليًا على مصر وكتبوا إليه بذلك، ألقى القبض على نفر من كبار أهل مصر وكان من بينهم عبد الله بن عبد الحكم فسجن حتى توفي ؛ وحدثت أزمة خلق القرآن التي أثارها المعتزلة أيام المأمون، ووصلت الأزمة إلى مصر، وعانى منها آل عبدالحكم الذين كانوا على مذهب مالك بن أنس؛ وحين ولي المعتصم اشتدت الأزمة في مصر، حيث أرسل المعتصم إلى

---

(1) الكندى: ولاة مصر وقضاتها، ص450.

(2) محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م، ص9.

(3) ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 208/6.

قاضي مصر محمد بن أبي الليث يأمره بامتحان الناس في القول بخلق القرآن فشهر بهم ونالهم الأذى ثم قبض عليهم[1]، وعقدت محكمة حينها وعرفت الدعوى باسم قضية بني عبد الحكم بسبب الأحكام القاسية التي نزلت بهم حيث حكم عليهم بغرامة مقدارها 1,404,000 دينار ثم صودرت أموالهم لتحصيل الغرامة وزج بهم جميعًا في السجن حيث مات الأخ الأكبر عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم. وبعد ذلك بثلاثة أشهر،أخرجوا من السجن وأعيدت أموالهم، ولكنهم اعتزلوا الحياة العامة[2].

تطوَّر الفقه الإسلامي في مصر خِلال القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ فقد تَعادَل المذهب الشافعي والمالكي، وكان هناك مذهب أقلُّ شأناً تُؤيِّده الخلافة وهو المذهب الحنفي مال إليه من المصريين أحمد بن أبى عمران، وأبو بكر بكار بن قتيبة القاضى (ت 270هـ)، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى (ت 321هـ)[3] الذى انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر[4]، وأمَّا المذهب الحنبلي فلم يكن له ذِكْرٌ في مصر في هذه الأوقات، وكذلك المذاهب غير السنيَّة؛ كالمذهب الشيعي الذى لم يكن له وجودٌ إلا في ظُروفٍ سياسيَّة معيَّنة[5]. ونعرف من المصادر أن أحمد بن طولون عضد المذاهب الفقهية الثلاثة المالكية والشافعية والحنفية، وكان يحضر دروسها ويجرى على أتباعها الأرزاق[6].

وكان للشافعيَّة وأتْباعهم في سنة 326هـ خمس عشرة حلقة بمسجد عمرو بن العاص، وللمالكيِّين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط، وقد كانت المنافسة تشتَعِل،

---

(1) إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص258.

(2) الكندى: الولاة والقضاة، طبعة روما، ص136-139 ؛ وانظر: إبراهيم العدوى: ابن عبدالحكم رائد المؤرخين العرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م، ص15-35.

(3) ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، ص86.

(4) عبدالقادر الحنفى: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، 1413هـ/1993م، 271/1 ؛ وانظر: السيوطى: حسن المحاضرة، 349/1.

(5) سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص287،306 ؛ وانظر: صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص221.

(6) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، 449/3.

والنِّزاع يقوى ويشتدُّ في بعض الأوقات بين أصحاب المذاهب المختلفة بمصر، ففي هذه السنة عاد أصحاب مالك والشافعي إلى القتال في المسجد الجامع العتيق. فلمَّا زادَ قتالُهم أرسل الإخْشيد، ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع، وكان يفتح في أوقات الصلوات، ثم سُئِلَ الإخْشيد فيهم فردَّهم[1].

وكان في مقدمة فُقَهاء الشافعيَّة في مصر الإخْشيديَّة أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحداد (ت 344 ه)، والذى كان فقيهاً محققاً غوَّاصاً على المعاني، تولى القضاء بمصر والتدريس فى جامع الفسطاط[2]، وكانت الملوك والرَّعية تُكرِمه وتعظمه، وتقصده في الفتاوى والحوادث، وكان يُقال في زمنه: عجائب الدنيا ثلاثٌ: غضب الجلاد، ونظافة السماد، والرد على ابن الحداد، وكان مُتصرِّفًا في علومٍ كثيرة من علوم القُرآن الكريم، والفقه، والحديث، والشعر، وأيَّام العرب، والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم الأخرى، ولم يكن في زمانه مثله، وكان محبَّبًا عند كلِّ الناس، الخاص منهم والعام، وحضَر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور بن الإخْشيد وكافور وجماعة من أهل البلد[3]؛ ولابن الحداد كتابٌ يُسمَّى "الفروع "في المذهب، وهو كتابٌ صغيرُ الحجم كثيرُ الفائدة[4]، وقد أنشَدَ بعض الشعراء أبياتًا في أبي بكر بن الحدَّاد، يُشِيرون فيه إلى قيامه بأعمال القضاء دون تقليدٍ رسمي، ومن تلك الأبيات:

قُولُوا لِحَدَّادِنَا الْفَقِيهِ .... الْعَالِمِ النَّابِهِ الْوَجِيهِ
وَالْمِسْقَعِ الْمُسْتَطِيلِ لَوْلاَ .... مَا فِيهِ مِنْ نَخْوَةٍ وَتِيهِ

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص173؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص306.

(2) أحمد أمين: ظهر الإسلام، 163/1؛ وانظر: أحمد محمد الحوفي، الطبري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1390ه/1970م، ص21.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 327/2؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص306.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 327/2.

حَكَمْتَ حُكْمًا بِغَيْرِ عَقْدٍ .... وَغَيْرِ عَهْدٍ نَظَرْتَ فِيهِ

أَحْلَلْتَ فَرْجًا لِمُبْتَغِيهِ .... وَوِزْرُهُ وِزْرُ مَنْ يَلِيهِ

وقد ولَّى الإِخْشيدُ الحسين بن أبي زرعة القضاءَ على أنْ ينظُر محمد بن أحمد بن الحداد في القضاء حتى يصل الكتاب من بغداد بولاية ابن أبي زرعة[1] ولا بُدَّ أنْ يكون السبب في اختيار ابن الحداد للنيابة هو أنَّه كان معروفًا بالعلم الواسع حتى سُمِّي "فقيه الديار المصريَّة، وظلَّ أبو بكر بن الحداد ينظُر في مشاكل الناس وقَضاياهم في داره وفي الجامع حتى ورَد تقليد ابن أبي زرعة على القضاء من قبل ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد في سنة 325هـ ؛ ومن فُقَهاء الشافعيَّة الذين أدركوا العصر الإِخْشيدي أبو عبد الله الحسين بن أبي زرعة الدمشقي المتوفَّى سنة 327هـ، وقد تولَّى القضاء في بداية حُكم الإِخْشيد[2]، ومنهم أبو بكر محمد بن بشر بن عبدالله الزبيري المتوفَّى سنة 332، وأبو رجاء محمد بن أحمد بن الربيع الأسواني المتوفَّى سنة 335، والمشهور أنَّه كان أديبًا شاعرًا، وأنَّه نظَم قصيدة طويلة بلغَتْ ثلاثين ومائة ألف بيت، نظَم فيها قصص الأنبياء وغير ذلك من كتب الطب والفلسفة.

ومن فُقَهاء الشافعيَّة في مصر الإِخْشيديَّة عبدالرحمن بن سلهويه الرازي، قدم إلى مصر، وتفقَّه بها، وأفتى ودرس في جامعها العتيق وتُوفِّي بها سنة 339، ومحمد بن إبراهيم بن الحسين المعروف بابن سكرة، وهو بغدادي الأصل، سكَن مصر وحدَّث بها، وتُوفِّي سنة 342، ومنهم عبدالله بن محمد الخصيبي، له كتاب في الفقه يسمى "المجالة، ولي القضاء في دمشق، ثم قضاء مصر سنة 340[3] فأقام بها إلى أنْ تُوفِّي بها سنة 348هـ، وولي بعده ابنه محمد، فأقام شهرًا واحدًا، ثم مرض وتُوفِّي في سادس ربيع الأول من السنة نفسها[4] ومحمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي، وكان يُلقَّب بسيبويه، وكان شاعرًا فصيحًا، يتَظاهَر بالاعتزال، أخَذ عن

---

[1] الكندي: أخبار قضاة مصر، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1426هـ - 2005م، ص169.

[2] الكندي: مصدر سابق، ص170 ؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص207.

[3] السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص168، وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، ص307.

[4] الكندي: أخبار قضاة مصر، ص173، 174.

ابن الحداد، وُلِدَ سنة 284، وتُوفِّي سنة 358هـ، ومحمد بن عبدالعزيز بن حسون الإسكندراني الفقيه الشافعي، حدَّث بدمشق، وتُوفِّي سنة 359هـ[1].

أمَّا فُقَهاء المالكيَّة، فهناك عددٌ منهم أدرك العصر الإخْشيدي منهم هارون بن محمد بن هارون الأسواني المتوفَّى سنة 327هـ، وعلي بن عبدالله بن أبي مطر الإسكندراني المتوفَّى سنة 330هـ[2] ومنهم أيضًا محمد بن يحيى بن مهدي الأسواني (ت340هـ)، وَلِي قضاء مصر بأمرٍ من محمد بن طغج الإخْشيدي، فنظَر وحكَم، وركب لطلب هلال شهر رمضان، فأقام ينظُر خمسة أيام، وكانت له حلقة فى جامع عمرو ويتناظر عنده الفقهاء، ويشتغل بالعلم من الصبح حتى الزوال ثم من بعد صلاة الظهر حتى العصر[3]، وبكر بن محمد بن العلاء القشيري، وأصله من البصرة ثم رحَل إلى مصر ومات بها سنة 344، ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر الأسواني المتوفَّى سنة 364 أو سنة 374، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسواني (ت 376هـ)، وأبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان (ت 355هـ).

لم يتوقف دور أهل السُنة قبل العصر الفاطمى على الفقه فحسب بل وجدناهم يقبلون على علوم الحديث أيضا ومن ثم فقد برز من عيون المحدثين والمسندين بالقرن الثالث الهجرى حرملة بن يحيي التجيبى (ت 243هـ)، ومحمد بن رمح التجيبى (ت 242هـ)، وعيسى بن حماد (ت 248هـ)، والربيع بن سليمان الجيزى (ت 256هـ)، ويونس بن عبد الأعلى (ت 264هـ)، وإبراهيم بن مرزوق بن دينار البصرى (ت 270هـ) نزيل مصر، روى عنه النسائى والطحاوى[4].

وظهر في القرن الرابع الهجري ثلة من محدثى مصر، منهم أبو جعفر الأزدي المصري الحنفي المعروف بالإمام الطحاوي (ت 321هـ)، وكان ثقةً ثبتًا فقيهًا، ومن مؤلفاته: "معاني

---

[1] السيوطي: حسن المحاضرة، 1/168، 169.

[2] سيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، ص307.

[3] الكندي: أخبار قضاة مصر، ص171؛ وانظر: القاضى عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، مكتبة الحياة، بيروت، مكتبة الفكر، طرابلس، 3/279 ؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1998م، ص429.

[4] ابن زولاق: فضائل مصر، ص32،33 ؛ وانظر: السيوطى: حسن المحاضرة، المطبعة الشرقية، القاهرة، 1909م، 1/288،309،398.

الآثار"، "أحكام القرآن"، "كتاب الشروط[1]، والحافظُ الإمام أبو بكرٍ أحمد بن عمرٍو الطحَّان (ت 333ه)، والحافظ الإمام أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس (ت 347ه)، سمع أباه والنسائي، وكان خبيرًا بأيَّام الناس وتواريخهم[2]، والمحدث حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني (ت 357ه) مملي جزء البطاقة عن النسائي، اتَّفق العلماء على تقدُّمه في معرفة الحديث، وكان مشهورًا بالورع والعبادة، ومنهم الحافظ ابن السكن أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي نزيل مصر(ت 353ه)، وُلِدَ سنة 294ه، وسمع أبا القاسم البغوي وابن جوصا، وعنه أخذ عبدالغني بن سعيد، وقد صنَّف "الصحيح المنتقى، ومنهم الحافظ الإمام الجوَّال "أبو بكر النقاش" محمد بن علي بن حسن المصري نزيل تنيس، وقد وُلِدَ سنة 282ه، وسمع النسائي وأبا علي، ومات في شعبان سنة 369ه[3]، ومنهم الحسن بن رشيق الإمام أبو بكر محمد العسكري المصري (ت 370ه) أخَذ الحديث عن النسائي، وعنه أخَذ الدارقطني وعبدالغني، وقال عنه ابن الطحان: ما رأيت عالِمًا أكثر حديثًا منه، ومنهم أيضًا ابن النحاس المصري الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح (ت376ه)، نزيل نيسابور، وقد قام بأسفارٍ طويلة، وسمع أبا القاسم البغوي، وتُوفِّي عن خمسٍ وثمانين سنة، ومنهم ابن مسرور عبدالواحد بن محمد بن أحمد (ت378ه)، نشأ في بلخ، وتربَّى وعاش وأقام بمصر، ومنهم أيضًا أحمد بن أبي الليث نصر بن محمد الحافظ أبو العباس (ت356ه)، كان شديد القوَّة في الحِفظ[4]، ومنهم الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن خزابة (ت 391ه) نزيل مصر ووزير كافور، وحدَّث عن محمد بن هارون الحضرمي وغيره، ورحل إليه الدارقطني، وعزم على التعليق على مسنده، قال السلفي" :كان من الحفَّاظ المتقنين يملي ويروي في حال الوزارة، عندي من أماليه ومن كلامه على الحديث الدال على حدَّة فهمه وقوَّة عِلمه، وخزابة اسم جدَّته أم أبيه[5].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 149/1، وانظر: السيوطي: مصدر سابق، 147/1.

(2) السيوطي: حسن المحاضرة، 147/1، وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص305 ؛ صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص163.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة، 147/1،148، انظر: سيدة كاشف: مرجع سابق، ص305.

(4) السيوطي: مصدر سابق، 147/1، وانظر: الأدفوي: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء أهل الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، ومراجعة: طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص639؛ سيدة كاشف: مرجع سابق، ص305.

(5) نقلا عن: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى، 376/2، 377، وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص305.

وإلى جانب هؤلاء الذين كانوا بمصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة، وكانوا على درجةٍ عاليةٍ من حِفظ الحديث ونَقده، فقد وُجِدَ جماعةٌ آخَرون من المحدِّثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والذين انفَردوا بعلو الإسناد، ومن هؤلاء: أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المالكي (ت 322هـ)، وكان من أهل العلم والحفظ، وقد حدَّث بكتب أبيه كلها من حِفظه عندما كان بمصر، ولم يكن معه كتابٌ يُحدِّث منه، وهي إحدى وعشرون مُصنَّفًا، وقد ولي قضاءَ مصر لمدَّة شهرين ونصف، وأبو عبدالله بن أحمد بن بدر الربعي البغدادي (ت329هـ)، وقد حدَّث عن عباسٍ الدوري وطبقته، وقد وَلِيَ قضاء مصر، وله عدَّة تصانيف، وقد ضعَّفَه أكثر من واحد في الحديث، وتُوفِّي وله بضع وسبعون سنة، ومحمد بن أيوب (ت 341هـ) نزيل مصر، روَى عن هلال بن العلاء وطائفةٍ أخرى، وعثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت345هـ)، روى بمصر عن أحمد بن شيبان الرملي وابن أميَّة الطرطوسي وطائفةٍ أخرى، تُوفِّي، وله خمسٌ وتسعون سنة، وأبو بكر محمد بن علي الماذرائي (ت 345هـ)، وقد حدَّث عن العطاردي، وكان من صُلَحاء الكُبَراء، وأحمد بن مهران السيرافي (ت 346هـ) حدَّث عن الربيع المرادي، والقاضي بكار، وأحمد بن إبراهيم بن عطيَّة البغدادي الذي يُعرَف بابن الحداد (ت361هـ)[1].

كذلك أسهم أهل السنة قبل العصر الفاطمى فى تفسير القرآن، وممن شارك منهم فى هذا الفن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس. أخَذ بالعُلوم والآداب الإسلاميَّة التي كانت منتشرةً في عصره، والتي كان لها أثَرٌ كبير جدًّا في وضْعه التأليف في تفسير القرآن الكريم[2]، وأبو بكر الأدفوي (محمد بن علي بن أحمد الإمام أبي بكر الأدفوي المصري المقرئ النحوي المفسِّر) (تُ 388هـ)، كان عالمًا بالعلوم الدينيَّة في عصره وملمًّا بها، وكان لهذه العلوم تأثيرٌ على تفسيره، فقد سمع الحديث من سعيد بن السكن وغيره، وكان قد صاحَب أبا جعفر النحاس ولازَمَه، وبرَع في علوم القُرآن الكريم، وكان طلاب العلم

[1] السيوطي، حسن المحاضرة، 156/1، وانظر: سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص306.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، 58/1 ؛ وانظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، 180/1 ؛ أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص22 ؛ صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص180.

مُعتادِين على مجالسه، حيث أَخَذ عنه جماعةٌ كبيرةٌ منهم[1]، ولأبي بكر الأدفوي كتابٌ في تفسير القرآن الكريم، يقَع في مائة وعشرين مجلدًا، قال الذهبي: "منه نسخة بمصر بوقف القاضي الفاضل عبد الرحيم[2]".

وكما شارك أهل السنة فى تفسير القرآن، فقد كانت لهم مشاركات فى القراءات ومن أبرزهم فى القرنين الثانى والثالث الهجريين عثمان بن سعد المصرى (ت 197هـ) الذى ينحدر من أصل قبطى وكان مولى لآل الزبير بن العوام، ولقب بورش لشدة بياضه وتنسب إليه إحدى القراءات السبع المشهورة، ومن أئمة القراءات أيضاً أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو المصرى (ت 240هـ) أخذ عن ورش وخلفه فى الإقراء بالديار المصرية[3]، ولكنه انفرد عن ورش بتغليظ اللام وترقيق الراء، وكان له أثر كبير فى مصر والمغرب، حتى أن المصريين ما كانوا يعرفون إذ ذاك غير ورش وتلميذه أبى يعقوب الأزرق[4]؛ وانتقل علم القراءات عن القراء المصريين إلى المغرب والأندلس، مع بعض الآراء الخاصة كتلك التى تميز بها أبو يعقوب الأزرق عن شيخه ورش، وكذا عن نافع[5].

ومنهم في القرن الرابع الهجري: القارئ أبو عبدالله الديباجي التستري – محمد بن سعيد بن عبدالرحمن، وقد قرَأ بمصر حتى وفاته سنة 330هـ، وعامر بن أحمد بن حمدان المقرئ النحوي المصري (ت 333هـ)، من أصحابه أحمد بن هلال، وقد قرأ على محمد بن علي الأدفوي، وعامَّة أهل مصر، وله مُؤلَّف في اختلاف السبعة، ومحمد بن عبدالعزيز بن منير (ت 339هـ) نزيل مصر، قرأ على أحمد بن هلال، وكان بصيرًا بمذهب مالك، وحمدان بن عون المصري (ت 345هـ) أحد الحذاق في القراءة، وقد قرَأ على أحمد بن هلال ثلاثمائة ختمة، ثم

---

(1) أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص20.

(2) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1326هـ، ص109، وانظر: صفي علي محمد: مرجع سابق، ص182.

(3) السيوطى: حسن المحاضرة، 277/1 ؛ وانظر: أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص20 ؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص108.

(4) السيوطى: حسن المحاضرة، 278/1.

(5) محمد كامل: فى الأدب المصرى الإسلامى، ص37.

على إسماعيل بن عبدالله النحاس ختمتين، وقرأ عليه عمر بن محمد بن عراك، ومنهم أحمد بن أسامة بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن السمح أبو جعفر بن أبي سلمة التميمي المصري المقرئ، قرأ لورش على إسماعيل بن عبدالله النحاس، وقرأ عليه محمد بن النعمام، وعبدالرحمن بن يونس، وقد تُوفِّي سنة 342هـ، وقد جاوَز المائة، وقيل: مات في رجب سنة 356هـ، ومحمد بن عبدالله المعافري، قرأ على أبي بكر بن حميد بن القباب، وقرأ عليه خلف بن إبراهيم بن خاقان، وقد توفي بمصر سنة بضع وخمسين وثلاثمائة، وأبو بكر بن عبدالله بن مالك بن عبدالله بني سيف التجيبي المقرئ المصري، شيخ الإقليم في القراءات في زمانه، وقد قرأ على أبي يعقوب الأزرق، وعمر دهرًا طويلاً، وقد حدَّث عن محمد بن رمح صاحب الليث بن سعد، وحدَّث عنه ابن يونس، وقد مات في جمادى الآخِرة سنة 357هـ[1]، والمقرئ أحمد بن عبدالعزيز بن بَدْهَن (ت359هـ) نزيل مصر، وقد قرَأ على أحمد بن سهل الإشناني، وابن مجاهد، وقد حذق ومهر وطال عمره، واشتهر، وكان من أطيب الناس صوتًا وأفصحهم لسانًا، أخَذ عنه عبدالمنعم بن غلبون وابنه طاهر، ومنهم عبدالمنعم بن عبيدالله بن غلبون أبو الطيب الحلبي (ت 389هـ) كان أستاذًا ماهرًا، وقد انتقل إلى مصر فسكنها، وألَّف كتاب الإرشاد، وكان الوزير الإخْشيدي جعفر بن الفضل بن الفرات(ت391هـ) معجبًا به، وكان يحضر مجلسه، وظلَّ ابن غلبون يقرَأ بمصر حتى تُوفِّي بها.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل السنة بمصر شاركوا بنصيب وافر فى الفرائض، وفى النحو، والشعر، وعلم الكلام، والتاريخ والنسب، والزهد والوعظ، وقد أحصى ابن زولاق طائفة فى كل فن وعلم مما سبق[2].

وقد ساعد أهل السنة على القيام بمهامهم بشأن الحركة الفكرية حرص الدولة الإخشيدية على تحسين وضعية الفقهاء والعلماء، ومن ذلك أنَّ كافورًا أمَر بعشرين ألف دينار لتُوزَّع على فُقَهاء الشافعية عندما سمع أنَّ الخليفة عبدالرحمن الناصر الأندلسي أرسل عشرة

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 208، 209، وانظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص191،192،190.

(2) أنظر: فضائل مصر، ص34-42.

آلاف دينار لتُفرَّق على فُقَهاء المالكية[1]، وأغدق الوزير جعفر بن الفُرات المعروف باسم "ابن خزابة"، على العلماء، وأجزل صلاتهم، وظلَّ يقودُ الحركة العلميَّة بمصر طوال وزارته، التى امتدَّت نحو عشرين عامًا من أيَّام كافور إلى قُرب نهاية الدولة الإخْشيديَّة[2].

وقد تنوَّعت مراكز الحركة العلمية التى ساعدت العلماء والفقهاء من أهل السنة على نشر فكرهم وعلمهم ؛ فكان منها العام المتمثِّل في المساجد وسُوق الورَّاقين، ومنها الخاص المتمثِّل في مجالس الأمراء وعِليَة القوم[3] والتي كانت منتشرةً في ذلك العصر، وقد كان لأمراء الدولة الإخْشيديَّة دُورُهم التي جعَلُوها مقرًّا لاجتماع العلماء والأدباء والفُقَهاء وغيرهم من أولي العلم، وكان بلاطهم حافلاً أيضًا بكلِّ هذه الطوائف؛ ممَّا ساعد على ازدهار الحركة الفكريَّة في وقتٍ كانت المدارس والجامعات غائبةً عن الوجود.

وكان مركزُ الحركة العلميَّة والأدبيَّة في مصر الإخْشيديَّة وقلبها النابض في ذلك العصر جامع عمرو بن العاص فلم تقتَصِر أهميَّة مسجد عمرو بن العاص على أداء الشعائر الدينيَّة فحسب، بل كان هذا المسجد كغيره من المساجد الجامعة في الأمصار الإسلاميَّة، فكان دارَ عبادة وإدارة وقضاء، ثم مدرسة جامعة تُعقَد فيها مجالسُ العلوم والآداب على اختلافها[4]، ومن أبرز الحلقات العلمية التى شهدها جامع عمرو حلقة الشافعى، وحلقة تلميذه البويطى من بعده، وحلقة ابن عبدالحكم، والتى اشتهرت باسم البركة[5]، وكان للشافعيَّة في سنة 326هـ بجامع عمرو خمس عشرة حلقة، وللمالكيَّة مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات، وقد أدَّى شدَّة التنافُس والنِّقاش بين أصحاب هذه المذاهب إلى المُقاتَلة في المسجد[6].

---

(1) علي حسنى الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص142.

(2) نجوى معتصم أحمد: الغزل في الشعر المصري، من القرن الثالث إلى نهاية العصر الفاطمي، مكتبة الآداب،القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م، ص22.

(3) ابن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص5، انظر: صفي علي محمد، الحركة العلميَّة، ص61.

(4) عبدالرحمن زكي: الفسطاط وضاحياتها العسكر والقطائع، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص41 ؛ وانظر: صفي علي محمد: مرجع سابق، ص63.

(5) على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، 7/4.

(6) عبدالرحمن زكي: مرجع سابق، ص42،43.

وكان من أهمِّ هذه المراكز الأسواق التي كانت موئلاً للدارسين يتجاذَبون فيها أطرافَ الحديث، ويُقِيمون المنافسات والمناظرات العلميَّة[1]. ومن أهمِّ الأسواق التي اشتهرَتْ بعد ذلك في مجال الحياة الفكريَّة وذاع صيتها ما أُطلِق عليها "أسواق الورَّاقين[2]، يقول ابن زولاق: "حدثني مَن حضَرَه يوم الجمعة في سُوق الورَّاقين في جمعٍ كبير من الحاضرين[3]... ."

وكانت هناك مجالس أخرى للعلم والفقه لا يحضرها إلاَّ الخاصَّة؛ مثل دور الأمراء والوزراء، حيث كانت تجمَعُ بين العلم والأدب، والثقافات العامَّة، وكان العصر الإخْشيدي غنيًّا بمثل هذه المجالس[4]، ومنها دار الإخشيد، ودار الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، ودار فاتك الإخشيدى أحد أمراء الدولة الإخشيدية والذى كان منافساً خطيراً لكافور[5].

---

(1) هالة شاكر عبدالرحمن: الورق والوراقون في العصر العباسي، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1424هـ/ 2004م، ص204 ؛ وانظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص7 وما بعدها.

(2) ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص18 ؛ وانظر: أحمد أمين: ظهر الإسلام، 1/ 164 ؛ سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص303 ؛ علي حسن الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية، ص142.

(3) ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص18، 19.

(4) نفسه، ص5، وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، ص304 ؛ أحمد أمين: ظهر الإسلام، 164/1؛ على حسن الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية، ص142 ؛ صفي علي محمد: مرجع سابق، ص75.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 614/1، 331 ؛ وانظر: ياقوت الحموى: معجم الأدباء، 163/7 ؛ صفي علي محمد: مرجع سابق، ص75.

المبحث الثالث: الدور الدينى لأهل السنة

وقبل أن نختم الحديث عن وضعية أهل السنة فى المجتمع المصرى قبل العصر الفاطمى فلابد وأن نشير إلى دورهم الدينى بمصر والذى تمثل فى مواجهة المعتقدات والأفكار المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة، ومن ذلك موقفهم من محنة خلق القرآن، ورفضهم لها رفضاً قاطعاً والذى أدى إلى الزج بعدد كبير منهم فى السجون، وهروب كثرة كاثرة من الناس لا سيما من أنكر القول بخلق القرآن، وتوقيف عدد من الشهود الذين رفضوا القول بخلق القرآن[1].

وقد وصف لنا الكندى ما وقع لأهل السنة بشأن موقفهم فقال: "ورد كتابه – أى الخليفة الواثق- على محمد بن أبى الليث القاضى بمصر فأمر بامتحان الناس أجمع فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة، فهرب كثير من الناس وملئت السجون بمن أنكروا المحنة وأمر ابن أبى الليث بالاكتتاب على المساجد بفسطاط مصر: لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق. فكتب ذلك ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم ألا يقربوه[2]"؛ وكان ممن عذب فى هذه الفتنة الفقيه المالكى محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حيث طيف به ينادى بخلق القرآن[3]، وكذا عذب آل عبدالحكم وسجنوا كما أشرنا من قبل. كما تعرض ذو النون المصرى للتعذيب حتى أقر بالقول بخلق القرآن[4]. كذلك تعرض أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى (ت 231 هـ) للتعذيب حيث حمله القاضى ابن أبي الليث من مصر إلى العراق للامتحان فامتنع عن الجواب، وقيد وسجن وهو يقول: والله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم[5]!.

---

[1] الكندى: الولاة والقضاة، ص447.

[2] أنظر: الولاة وكتاب القضاة، ص451.

[3] نفسه، ص452 ؛ وانظر: إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، ص258.

[4] الكندى: الولاة وكتاب القضاة، ص453.

[5] الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناقوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، ط11، 1419هـ/1998م، 61/12.

وبمجرد وصول الأمر من الخليفة المتوكل إلى والى مصر بمنع الجدل فى القرآن سنة 234هـ[1]، وجدنا أهل السنة المصريين ينتفضون لتعقب رؤوس المعتزلة لا سيما ابن أبى الليث الذى كان يمتحن المصريين فى قضية خلق القرآن، فقد وثبوا على مجلسه ورموا بحصره وغسلوا موضعه بالماء فى شعبان 235هـ[2].

[1] الكندى: مصدر سابق، ص197.
[2] نفسه، ص463.